وحبهن.. ولكن اذكروا دائماً أنهن لسن لكم»[65].

ولكن مع ذلك فإن الحكيم راض عن شيطان فنه كل الرضا، أو ليس هو الذي عقد معه عهداً تنازل بموجبه عن كل متع الحياة مقابل رحيق الفن؟ إن الحكيم يريد أن يقنعنا بشكواه هذه أنه أدى ضريبة الفن.

* * *

والآن وبعد أن وقفنا على ذلك الدور الذي لعبته المرأة الملهمة في أدب الحكيم عن طريق الإيلام، يمكنا أن نتساءل: هل كان الحكيم يفضل أن يصلب على خشبته عن إرادة ووعي؟ وهل كان ألمه صادقاً أم مزيفاً مصطنعاً؟.

يرى «جورج طرابيشي» ـ بحق ـ أن ألم الحكيم كان ألماً إرادياً مصطنعاً، وليس مفروضاً، لأن الحكيم كان يعتقد بأنه «لا شيء يجعلنا عظماء غير ألم عظيم»، على حد تعبير «دي موسيه»، ومن هنا نراه يجعل من نفسه داعية «الحب الحائب» و«الحب المثالي» و«الفناء في الجمال» عسى أن يملأ نفسه الخاويه كالصحراء ليستطيع أن يكتب بعد ذلك. فالحكيم إذن يستغل عاطفة من أنبل العواطف الإنسانية، ويشوهها ويزيفها من أجل فنه. إن الحب عنده يتحول إلى وسيلة مصطنعة بدلاً من اتخاذه غاية في حد ذاته، وكأنه «لا يريد أن يكتب قبل أن يحيا، ولا يريد أن يحيا إلا ليكتب»[66].

وتزييف الألم، واختلاق العذاب على هذا النحو أدى إلى برودة واصطناع وتكلف في المواقف في بعض آثار الحكيم، مثل «راقصة المعبد» و«وجه الحقيقة»، وحتى فى «عصفور من الشرق».

لكن السؤال الذي يظل مطروحاً: ما هو السبب في هذا الموقف الشاذ الذي اتخذه الحكيم من المرأة؟.

إننا نطرح هذا السؤال دون أن نجد له جواباً شافياً، سواء في مؤلفات الحكيم، أم في المؤلفات النقدية التي صدرت عنه. وهل ينبغي على الإنسان